

إمارة برغواطة

مقدمة

انفجرت الثورات الخارجية في المغرب وانتهت باستقلاله عن الأمويين، لكنها ألفت به في جو من الغموض واختفت كل أخباره. ولما عادت الأخبار استقبلنا بمجموعة من الإمارات الصغيرة في نكور وسبتة وتلمسان وسجلماسة وتاهرت وتامسنا، وإذا كانت أغلب الإمارات صغيرة وتأثيرها في الأحداث محدود، فإن الأخيرة انفردت بأهمية كبيرة لما تميزت به من خصوصيات في مذهبها الديني وقدرتها الكبيرة على المقاومة لفترة طويلة. ولذلك تشكل دراستها أهمية خاصة.

لم تشفع أهمية الإمارة لها عند المؤرخين حيث تجاهلوا ولم ترد أخبار عنها إلا خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وكان ابن حوقل أقدم من كتب عنها وتلاه البكري في القرن الخامس وعنه سيأخذ أغلب من كتب عنها. ومن المصادر التي كتبت عنها نذكر:

- ابن حوقل، صورة الأرض
- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب¹
- مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار
- ابن عذاري، البيان المغرب، ج1
- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب
- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج1
- ابن خلدون، العبر، ج6
- الناصري، الاستقصا، ج1

ولم يكتب عنها المشاركة شيئاً كما أن ما كتب عنها كان من أجانب من خارجه إلا اعتبرنا ما ورد عند البكري أصيلاً.

ونفس الإهمال واجهته مع الدارسين المعاصرين الذين لم يكتبوا عنها إلا القليل وأشبعوا أخبارها تأويلاً وتحريفاً، ومن أهم ما كتب عنها:

-SLOHCH N.,L'empire des Bergwata et les origines de blad es-siba

¹ - أخذ البكري عن برغواطة من رواية أبي صالح زمور بن هشام بن واردزين سفير برغواطة إلى قرطبة؛ بترجمه أبي موسى عيسى بن داود بن عشرين السطايطي المسلم، وفضل بن مفضل بن عمرو المذحجي.

-Marcy G., Dieux des Abadites et des Bargwata, Hespéris,t21, fasc.1, 1922.

- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج1
- حركات " ، المجتمع الدكالي والفكر الديني، مجلة دعوة الحق، عدد 224، غشت 1982.

- مادتا مصمودة وبرغواطة في دائرة المعارف الإسلامية

- محمود إسماعيل، الخوارج ببلاد المغرب،

- " " ، مغربيات: دراسات جديدة، المحمدية، 1977.

- إبراهيم خلف العبيدي، البرغواطيون في المغرب، 1983.

- رجب محمد عبد الحليم، دولة بني صالح بتامسنا، دار الثقافة الفجالة.

- مادة برغواطة في معملة المغرب

- Berghwata, Ency. De l'Islam, t.1

وسنتناول هذا الموضوع بناء على العناصر التالية: الأرض والسكان والتطور السياسي والديانة.

1- الأرض والسكان

قامت برغواطة في أرض تامسنا (الشاوية الحالية) التي تمتد بين نهري أبي رقرق شمالا وأم الربيع جنوبا، لكن حدود الإمارة امتدت في بعض الأوقات أكثر نحو الجنوب لتضم دكالة وعبدة والحوز وشمالا حتى المعمورة. وتتميز هذه المنطقة بطابعها السهلي وقلّة الارتفاعات وترتبتها الخصبة (الترس) ورطوبة مناخها. وتخرقها أنهار عديدة أهمها النهران المذكوران أعلاه مما يوفر مياها كثيرة، كما توجد بها غابات ومروج غنية. وكل هذه المؤهلات تجعل منها منطقة فلاحية كبيرة لحد أنها اعتبرت في العصر الوسيط فدان المغرب وخزان حبوبه (سهل وجودها اختيار موقع مراكش).

تتوفر المنطقة على سواحل طويلة تسمح لها بالانفتاح على الخارج؛ وخاصة الأندلس، عبر موانئ أزموور وأنفا والرباط وسلا. وهي أيضا معبر للطرق التجارية البرية الآتية من جنوب البلاد أو شمالها.

إنها منطقة غنية فلاحيا وتجاريا مما يوفر الدعائم الضرورية لحكامها ويجعلها مطمعا للجيران والأعداء.

يتكون سكان تامسنا من قبائل برغواطة التي يقال إن اسمها اشتق من اسم مؤسس الدولة الذي جاء من وادي برباط بكورة شذونة جنوب الأندلس فحرف أسم برباطي إلى برغواطي ثم عمم الاسم على كل السكان. وهذا تأويل معقد يصعب القبول به، لكنه أهم ما توفر لحد الآن.

اختلف المؤرخون حول مكونات برغواطة القبلية، فبعضهم يرى أنها خليط من القبائل الزناتية أطلق عليه هذا الاسم. أما ان خلدون فيرى أنها مصمودية من الجيل الأول وهذا الرأي أكثر تداولاً وقبولاً. ومن أهم القبائل التي دانت بمذهب برغواطة: جراوة وزواغة والبرانس ومطغرة وبنو دمر وبنو أبي ناصر وفحصة وبنو أبي نوح ومطمامة وبنو تادمر وبنو يوزغ وبنو واكينست. وقبائل أخرى مسلمة خضعت لسلطة برغواطة ومنها: أزموور وبنو يفرن وبنو أفلوسة وزناتة الجبل وبنو يليت ومحلته وبنو واد وبنو ناغيت وبنو النعمان وبنو كونه وبنو يسكر وأصادة وركانة ووايزمين ومنادة وماسينة ورسانة وترارته وتمغراوة.

شكل هذا الخليط القاعدة البشرية للإمارة وتجمعت حول مركز العصبية برغواطة وظلت لقرون تدافع عن بلدها.

1- التطور السياسي للإمارة

1-2- طور التأسيس (122هـ - 741/224م)

تأسست الإمارة على يد طريف أبو صالح (122هـ-127م) الذي اختلفت المصادر حول أصله، فهو إما يهودي (من ولد شمعون بن يعقوب)، أو بربري برغواطي جاء من وادي برباط بالأندلس أو مسلم، وبالرغم من اضطراب هذه الأقوال فهي لا تتناقض بل تتكامل، ويمكن ترتيبها على الشكل التالي: بربري يهودي؛ ربما أسلم، هاجر إلى الأندلس ثم عاد منها إلى تامسنا موطنه الأصلي. ويقال إنه هو الذي قاد الحملة التمهيدية لفتح الأندلس سنة 710هـ/91م وباسمه سميت جزيرة طريف، وانضم إلى مذهب الخوارج وشارك في ثورة ميسرة، ثم انسحب إلى تامسنا وأسس إمارته وهناك توفي.

خلفه ابنه صالح (127-174هـ) الذي اشتهر بوضع ديانة برغواطة، وقد وصفته المصادر بالذكاء والمعرفة بالسحر والفلك والتنجيم. رحل إلى المشرق وتعلم هناك ثم عاد ليضع أسس ديانته. وقد اعتبر نفسه المهدي المنتظر وآخر الأنبياء، ورحل في آخر عمره إلى

المشرق واعدت أتباعه بالعودة في عهد خلفه السابع، كما أوصى ابنه بالاحتفاظ بديانته وكتمان أمرها حتى تظهر قوته، وأوصى أيضا بمخالفة أهل الأندلس.

خلفه ابنه **إلياس الزاهد العفيف** (174-224هـ) فتظاهر بالإسلام حتى وفاته. وبذلك انتهى عهد التأسيس لتدخل الإمارة عهد القوة.

2-2- عهد الازدهار

بدأ هذا العهد بتولي **يونس بن إلياس** (224-268هـ) الذي تخطت المصادر بينه وبين جده صالح، حيث تقول إنه رحل إلى المشرق وتعلم هناك الكهانة والتنجيم والكلام، ولما تولى أظهر ديانة برغواطة، وجعل شالة عاصمته. ودخل في حروب قوية مع القبائل المجاورة له ووسع مجال إمارته على حسابها. وتذكر المصادر أنه فقط في معركة تاملوكاف أحرق 380 مدينة وقتل 7770 رجلا.

ولما مات انتقلت السلطة إلى فرع ثان من برغواطة لسبب مجهول قد يكون نتيجة صراع داخلي أو لعدم وجود وريث مناسب في الفرع الأول أو للسيطرة الإدريسية، ويبقى السبب الأول أكثر ترجيحاً.

وقد تعاقب على السلطة بعده **أبو عفير** (268-297هـ) و**أبو الأنصار عبد الله** ابنه (297-341هـ) و**أبو منصور عيسى** (341-369هـ). وفي عهدهم زادت قوة برغواطة وكثرت حروبها (تيمغنس وبهت) وزاد احترام الجيران لها. وتضخم الجيش ليصل إلى خمس وعشرين ألف رجل (3000 من برغواطة - 10 بلاف من قبائل على ديانتها - 12 ألفا من المسلمين).

انتهى هذا العهد بقتل بلقين بن زيري الصنهاجي والي الفاطميين على إفريقية لأبي منصور واختفت الأخبار عن برغواطة في المصادر، لكن يبدو أنها استعادت قوتها فيما بعد لأنها ستواجه الفتى واضحا الأموي بعد ثلاث سنوات وستواجه بني يفرن حكام سلا وسنلتقي بها بعد ثمانين سنة تقريبا قوية وقادرة على مواجهة المرابطين وهزمهم وقتل زعيمهم عبد بن ياسين.

3-3- العلاقة بالجيران

كانت برغواطة هدفا دائما لجيرانها من الإمارات وحتى من القبائل أو الأفراد.

بدأت المواجهات مع الأدارسة منذ عهدي إدريس الأول وإدريس الثاني (172-213هـ) حيث اعتبروا برغواطة مجوسا تجب محاربتهم وضمهم إلى الإسلام، فنظموا عدة غارات

فشلت في القضاء عليهم بالرغم من أنها، وكما يستنتج من مجال الأدارسة المقسم بين أبناء إدريس الثاني، انتزعت منهم مجموعة من الأراضي وطوقتهم من الجهات البرية الثلاث.

ويذكر ابن حوقل أن الشاكر بالله المدراري عزم على غزوهم سنة 340هـ/950م، لكنه لم ينفذ ذلك.

ولما دخل الفاطميون والأمويون في صراعهم حول ضم المغرب الأقصى كانت برغواطة مستهدفة منهما مباشرة أو من قبل حلفائهما. ففي سنة 366هـ/977م هاجمهم جعفر بن علي الأموي لكنهم هزموه هزيمة منكرة. وفي عام 372هـ، أرسل المنصور العامري الفتى واضحا وحقق انتصارات كبيرة عليهم. وهاجمهم نائب الفاطميين بلقين بن زيدي سنة 369هـ وقتل الحاكم أبا منصور عيسى.

لما تراجع الوجود الأموي بالمغرب وتولى حكم سلا بنو يفرن، قام زعيمهم أبو كمال تميم اليفرني بتنظيم غارات عديدة ضدهم وألحق بهم خسائر كبيرة، حتى إن أحدهم رآه في الحلم بعد موته في حالة حسنة فسأله عن السبب فأخبره أن ذلك كان بفضل جهاده لبرغواطة. وهذا الأمر يعكس الأثر النفسي الكبير الذي تركه في الناس بهذا العمل.

وشاركت قبائل هسكورة في جهادهم، كما كان المتصوفة يرابطون على حدودهم لجهادهم وأنشأوا رباطات هناك.

وسيستمر هذا العمل حتى بعد هذه الفترة مع المرابطين والموحدين.

كانت برغواطة مستهدفة من جيرانها؛ أفرادا وجماعات، باستمرار فلماذا هذا العداء المتأصل؟

3- ديانة برغواطة

تتميز ديانة برغواطة بالغموض الكبير، وتكاد الروايات تجمع على أن واضعها هو صالح بن طريف ثاني ملوكهم حيث ادعى النبوة ووضع قراءانا ثم أعلنها حفيده يونس بن إلياس. واختلف حول أصلها ومصدرها وأعطى الباحثون الحق لأنفسهم في الاجتهاد واعتماد أدلة واهية جدا أحيانا لإعطاء تفسيرات. فدي سلان يرى أنها يونانية (اسم الإله ياكش هو باخوس إله الخمر عند اليونان)، ورآها مارسية مسيحية (ياكش = يسوع) ودو فيردان يهودية (ياكش = يوشع)، ورأى فيها آخرون مذاهب إسلامية خارجية (محمود إسماعيل) وشيعي (سعد زغلول عبد الحميد). ويظهر أن هناك اضطرابا كبيرا في هذه الآراء وأنها تعتمد عناصر جزئية لتخرج بأحكام كبيرة (اسم إله- فكرة أو فكرتان تشبه مثيلاتها في مذهب ما) مع أن إمكانية استعارة اسم أو فكرة من ديانة أو مذهب هي أمر عادي. لكن القراءة المتأنية لمكونات هذه الديانة ومقارنتها بعبادات مغربية ما زال بعضها قائما حتى الآن

تكشف أننا أمام عملية إبداع قائم على التلفيق بالجمع بين الإسلام والعادات المحلية، وهذا شكل من المقاومة القائم على إرضاء طرفي النزاع (الإسلام وممثلوه// العادات المحلية الموروثة). وسيتضح هذا الأمر أكثر عندما سنعرض مكونات الديانة كما وردت في نصوص البكري وابن حوقل وكتاب "الاستبصار"، وإذا ما قورنت بما ورد في ديانة حاميم الغماري المعاصر.

● الكتاب المقدس:

- القرآن: باللغة البربرية وكون من ثمانين سورة تتوزع أسماؤها بين الأشخاص والأنبياء والحيوانات تماما كما في القرآن. وأسلوبه سجعي يحاول تقليد القرآن.

● العبادات:

- **الوضوء:** يشبه الوضوء الإسلامي مع بعض الزيادات؛ ربما مبالغة في النظافة. ومن الزيادات غسل الصرة والخاصرتين والرجل إلى الركبتين ومسح الرقبة والقفا والغسل من جنابة الحرام فقط.

- **الصلاة:** عشر صلوات (خمس في النهار وخمس في الليل) وبعضها إيماء وثلاث سجدة متوالية وصلوات مثل المسلمين.

- **الصوم:** صوم في رجب أو شعبان والإفطار في رمضان وأيام أخرى في الأسبوع.

- **الزكاة:** العشر ولا زكاة على المسلمين (قارن لا زكاة على الذمي في الإسلام).
الأضحية: تذبح في عاشوراء.

عبادات إسلامية مع تحريفات أو زيادة مبالغة؛ ربما، تعبيرا عن قوة التدين أو

جهلا بما في الإسلام أو زيادة من المصدر.

● التشريعات:

- **الزواج:** تعدد الزوجات حسب القدرة والطلاق والعودة دون شرط ومنع الزواج ببنت العم إلا بعد مرور ثلاثة جود وعدم الزواج من المسلمة ومنع التسري وتحريم الزنا. وكما يلاحظ فهذه محاولة للحفاظ على عادات قديمة في الزواج ومعاملة المسلمين بالمثل. وهذا أشياء كانت موجودة حتى عند العرب قبل الإسلام.

- **قتل السارق:** وهو تشدد في معاملته وهي عادة مغربية ما تزال موجودة حتى اليوم، ووجدت في بعض الأسواق في جبال الأطلس قبور للصوم قتلهم الناس بعد ضبطهم ليكونوا عبرة لكل من يحاول السرقة.

- **نفي الكاذب:** تشدد في معاملته لأنه يثير الفتن داخل المجتمع.

- **فرض الدية على القاتل:** دية ثقيلة (100 بقرة) لمنع الناس من ارتكاب هذا الجرم وقد يكون دليلا على ندرته في هذا المجتمع.

- **تحريم أكل رؤوس الحيوانات والبيض وكراهة الدجاج وتذكية السمك وعدم ذبح الديك.** هذه عادات ما تزال موجودة في بعض مناطق المغرب إما بشكل كامل أو جزئي إما مكشوفة أو تغطي عليها بعض القشور (الأطلس الكبير لا يأكلون الرؤوش وأحشاء الذبائح- الدجاج لا يؤكل إلا لعلاج الجرحى أو لأعمال سحرية- البيض يغسل سبع مرات قبل الأكل...).

كما يلاحظ فهذه الديانة هي مزيج من التعاليم الإسلامية والعادات المحلية مع ما يرافق ذلك من تحريفات أو زيادات أو مبالغة وجدت عند كل الشعوب والجماعات بما فيها تلك التي التزمت بالإسلام السني (المتصوفة كما تبين كتب المناقب). وهذا يؤكد على مقاومة العادات المحلية للنسيان ومحاولة التحايل على الأفكار الجديدة.

خاتمة

كانت برغواطة قوة سياسية في المغرب ما قبل- مرابطي، لعبت دورها في صياغة تاريخ البلد بالرغم من تجاهل المصادر. وهي تعكس شكلا من أشكال المقاومة المحلية للفكر والدين الجديد وتقدم شكلا لإسلام وسيط ساد بعض مناطق المغرب قبل أن تعمل حركات التنميط على توحيد الصورة والنمط (المذهب المالكي).

ملحق نصوص

بر غواطة: (البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد. ص. 136-141).

"أخبر أبو صالح زَمّور بن موسى بن هشام بن وارديزن البرغواطي، وكان صاحب صلاتهم حين قدم على الحكم المستنصر بالله رسولا من قبل صاحب برغواطة أبي منصور بن عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن أبي عفير يحمد بن معاذ بن أليسع بن صالح بن طريف، وكان وصوله إلى قرطبة في شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، وكان المترجم عنه بجميع ما أخبر به الرسول الذي قدم معه، وهو أبو موسى عيسى بن داود بن عشرين السطاسي من أهل شلة مسلم من «3» بيت خيرون بن خير. فأخبر زَمّور أنّ طريفا أبا ملوكهم من ولد شمعون بن يعقوب بن إسحاق وأنه كان من أصحاب ميسرة المطغري المعروف بالحقير ومغرور بن طالوت. وإلى طريف نسبت جزيرة طريف. فلما قتل ميسرة وافترق أصحابه احتلّ طريف ببلد تامسني، وكان إذ ذاك ملكا لزناتة وزواغة. فقَدّمه البربر على أنفسهم وولي أمرهم، وكان على ديانة الإسلام إلى أن هلك هناك وتخلف من الولد أربعة، فقَدّم البربر ابنه صالحا منهم. قال زَمّور: وكان مولد صالح بعد موت النبي (صلى الله عليه وسلم) بمائة عام سواء. قال: وحضر صالح مع أبيه حروب ميسرة الحقير وهو صغير. قال: وكان من أهل العلم والخير فتنبأ فيهم وشرع لهم الديانة التي هم عليها إلى اليوم، وادّعى أنّه نزل عليه قرآنهم الذي يقرءونه إلى اليوم. قال زَمّور: وهو صالح المؤمن الذي ذكره الله عزّ وجلّ في قرآن محمّد (صلى الله عليه وسلم) في سورة التحريم. وعهد صالح إلى ابنه إلياس بديانته وعلمه شرائعه وفقّهه في دينه وأمره ألا يظهر ذلك إلا إذا قوي وأمن، فإنّه يدعو حينئذ إلى ملّته ويقتل من خالفه. وأمره بموالاتة أمير الأندلس. وخرج صالح إلى المشرق ووعد أنّه ينصرف إليهم في دولة السابع من ملوكهم، وزعم أنّه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان لقتال الدجال، وأنّ عيسى بن مريم يكون من أصحابه ويصلي خلفه، وأنّه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وتكلم لهم في ذلك كلاما كثيرا نسبه إلى موسى الكليم عليه السلام وإلى سطيح الكاهن وإلى ابن عباس. وزعم أنّ اسمه في العربي صالح وفي السرياني مالك وفي الأعجمي عالم وفي العبراني وربيا وفي البربرية ورياوري، أي الذي ليس بعده شيء. وتولّى إلياس الأمر بعد خروج أبيه يظهر ديانة الإسلام ويسرّ الذي عهد إليه به أبوه خوفا وتقية، وكان طاهرا عفيفا لم يلتبس بشيء من الدنيا إلى أن هلك بعد أن ملك خمسين سنة. وولد إلياس جماعة منهم يونس، فتولّى الأمر بعد أبيه فأظهر ديانته ودعا إليها وقتل من لم يدخل فيها حتّى أخلى ثلاثمائة مدينة وسبعا وثمانين مدينة، حمل جميع أهلها على السيف لمخالفتهم إيّاه وقتل منهم بموضع يقال له تاملوكاف، وهو حجر نابت عالي وسط السوق، سبعة آلاف وسبعمائة وسبعين قتيلا، وقتل من صنهاجة خاصّة في وقعة واحدة ألف وغد، والوغد عندهم المنفرد

الوحيد الذي لا أخ له ولا ابن عمّ، وذلك في البربر قليل وإنما أحصوا الأقلّ ليستدلّ به على الأعظم الأكثر. قال زَمُور: ورحل يونس إلى المشرق وحجّ ولم يحجّ أحد من أهل بيته قبله ولا بعده. ومات يونس بن الياس بعد أن ملك أربعاً وأربعين سنة. وانتقل الأمر عن بنيه بقيام أبي غفير يحمّد بن معاد بن أليسع بن صالح بن طريف عليهم، فاستولى على الملك) ودان بدين آبائه واشتدّت شوكته وعظم أمره، وكانت له وقائع كثيرة في البربر مشهورة لا تنسى مع الأيام، منها وقعة تيمغسن، وكانت مدينة عظيمة، أقام القتل في أهلها ثمانية أيّام من الخميس إلى الخميس، حتّى شرفت دورهم ورحابهم وسككهم بدمائهم، ومنها وقعة بموضع يقال له بهت عجز الإحصاء عن عدد من قتل فيها. وكانت لأبي غفير من الزوجات أربع وأربعون زوجة كان له منهنّ من الولد بعددهنّ. ومات أبو غفير بعد أن ملك تسعاً وعشرين سنة، وذلك عند ثلاثمائة من الهجرة. وولي الأمر بعده من بنيه عبد الله أبو الأنصار، وكان سخياً ظريفاً يفي بالوعد والعهد ويحفظ الجار ويكافي على الهدية بأضعافها، وكان أفتس شديد أدمة الوجه ناصع بياض الجسم طويل اللحية، وكان يلبس السراويل والملحفة ولا يلبس القميص، ولا يعتّم إلا في الحرب ولا يعتّم أحد في بلده إلا الغرباء، وكان يجمع جنده وحشمه في كلّ عام ويظهر أنّه يغزو من حوله، فتهاديه القبائل وتستألفه، فإذا استوعب هداياهم وأطافهم فرّق أصحابه وسكنت حركته. فملك في دعة اثنتين وأربعين سنة ودفن بأمسلاخت وبها قبره. وولي بعده من بنيه ابنه أبو منصور عيسى بن أبي غفير، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، وذلك سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، فسار بسيرة آبائه ودان بديانتهم واشتدّت شوكته وعظم سلطانه. وكان أبوه قد وصّاه قبل موته بموالاته صاحب الأندلس، (وكذلك يوصّي جميعهم المرشّح للملك بعده. قال زَمُور): وقال له: يا بنيّ أنت سابع الأمراء من أهل بينك، وأرجو أن يأتيك صالح بن طريف كما وعد. انتهى كلام زَمُور. وقال أبو العباس فضل بن مفضّل بن عمرو المدحجي: إنّ يونس القائم بدين برغواطة أصله من شدونة من وادي بربط، وكان قد رحل إلى المشرق في عام واحد مع عبّاس بن ناصح وزيد بن سنان الزناتي صاحب الواصلية وبرغوت بن سعيد الترابي وجدّ بني عبد الرزّاق ويعرفون ببني وكيل الصفرية، ومناد صاحب المنادية المنسوب إليه القلعة المعروفة بالمنادية قريبا من سجلماسة وآخر ذهب عنّي اسمه. فأربعة منهم فقهوا في الدّين وادّعى ثلاثة منهم النبوّة، منهم يونس صاحب برغواطة. قال: وكان يونس شرب دواء الحفظ فلقن كلّ ما سمع حفظه، وطلب علم النجوم والكهانة والجانّ ونظر في الكلام والجدال، وأخذ ذلك من غيلان. ثمّ انصرف يريد الأندلس، فنزل بين هؤلاء القوم من زناتة، فلمّا رأى جهلهم استوطن ببلدهم، وكان يخبرهم بأشياء قبل كونها ممّا تدلّ عليه النجوم عندهم فتكون على ما يقول أو قريبا منه، فعظم عندهم. فلمّا رأى ذلك منهم وعرف ضعف حلومهم وسخافة «1» عقولهم أظهر ديانته ودعا إلى نبوته، وسمّى من أتبعه بربطي «2» لما كان من بربط، ثمّ أحالوه بالسنتهم وردّوه إلى لغتهم فقالوا: برغواطي. قال فضل بن مفضّل: وقال سعيد بن هشام المصمودي في وقعة بهت قصيدة طويلة اخترنا منها أبياتا [وافر]:

قفي قبل التفَرَّق فاخبرينا	وقولي واخبري خبرا مبينا
هموم برابر خسروا وضلّوا	وخابوا لا سقوا ماء معينا
ألايم أمة هلكت وضلّت	وزاغت عن سبيل المسلمينا
يقولون النَّبِيّ أبو غفير	فأخزى الله أمّ الكاذبينا
ألم تسمع ولم تر يوم بهت	على آثار خيلهم رنينا
رنين الباكيات فبين ثكلى	وعاوية ومسقطه جنينا
سيعلم قوم تامسنى إذا ما	أتوا يوم النّشور مهيمينا
هناك يونس وبنو أبيه	يقودون البرابر مهطعينا
إذا ورياورى زمت عليه	جهنّم قائد المستكبرينا
فليس اليوم ردّتكم ولكن	ليالي كنتم متميسرينا

هذا البيت يصدّق قول زمّور البرغواطي أنّ طريفا كان من أصحاب ميسرة ويشهد له. وأمّا هذا الضلال الذي شرع لهم فإنّهم يقدمون مع الإقرار بالنبيّين الإقرار بنبوّة صالح بن طريف ونبوّة من تولّى الأمر بعده من ولده، وأنّ الكلام الذي ألف لهم وحي من الله تعالى لا يشكّون فيه، تعالى الله عن ذلك، وصوم رجب وأكل شهر رمضان وخمس صلوات في اليوم (وخمس صلوات في الليلة) والتضحية في اليوم الحادي عشر من المحرم، وفي الوضوء غسل السرة والخاصرتين ثمّ الاستنجاء ثمّ المضمضة وغسل الوجه ومسح العنق واللقفا وغسل الذراعين من المنكبين ومسح الرأس ثلاث مرّات ومسح الأذنين كذلك ثمّ غسل الرجلين من الركبتين. وبعض صلواتهم إيماء بلا سجود وبعضها على كيفية صلاة المسلمين. وهم يسجدون ثلاث سجّات متّصلة ويرفعون جباههم وأيديهم عن الأرض مقدار نصف شبر، وإحرامهم أن يضع إحدى يديه على الأخرى ويقول: ابسمن ياكش، تفسيره بسم الله، مقرّ ياكش، تفسيره الكبير الله، ويضعون أيديهم مبسوطة في الأرض طول ما يتشّهّدون ويقرءون نصف قرآنهم في وقوفهم ونصفه في ركوعهم، ويقولون في تسليمهم بالبربرية: الله فوقنا لم يرغب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، ثمّ يقول مقرّ ياكش خمسا وعشرين مرّة، إبحن ياكش مثل ذلك ومعناه: الواحد الله، وردام ياكش مثل ذلك ومعناه: لا أحد مثل الله. وهم يجمعون يوم الخميس ضحى، وصيام يوم من كلّ جمعة فرض من فروضهم ويصوم الجمعة الأخرى التي تليه أبدا. ويأخذون العشر من الزكاة من جميع الحبوب ولا يأخذون من المسلمين شيئا. ويتزوّج من النساء ما استطاع على مباعلتهم والإنفاق عليهم بلا حدّ عدد. وأنّ لا يتزوج من بنات عمّه إلاّ ثلاث جدود، ولا يتسرّون ولا ينكحون للمسلمين ولا ينكحون فيهم ويطلقون ويراجعون ما أحبّوا. ويقتل السارق بالإقرار أو بالبينة ويرجم في الزنا عندهم وينفى الكاذب ويسمّونه المغيّر. والدية عندهم مائة من البقر. ورأس كلّ حيوان عليهم حرام، والحوث لا يؤكل إلاّ أن يذكّى والبيض عندهم حرام والدجاج مكروهة إلاّ أن يضطرّ إليها. وليس عندهم أذان ولا إقامة وهم يكتفون في معرفة الأوقات

بزقاء الديوك ولذلك حرّموها. وكان يبصق في أيديهم فيلحقونه تبرّكا به ويحملون بصاقه إلى مرضاهم يستشفون به. وصار أهل برغواطة أعلم الناس بالنجوم وأحذقهم بالقضاء بها. وكانوا أجمل الناس رجالا ونساء وأشدهم أيّدا، كانت الجارية البكر منهم تثب ثلاث حمر مصطفة ولا يمسّ ثوبها شيئا من الحمر، ولا تقدر على ذلك ثيب.

وقرآنهم الذي وضع لهم صالح بن طريف ثمانون سورة أكثرها منسوبة إلى أسماء النبيين من لدن آدم، أولها سورة أيّوب وآخرها سورة يونس وفيها سورة فرعون وسورة قارون وسورة هامان وسورة ياجوج وماجوج وسورة الدجال وسورة العجل وسورة (هاروت وماروت وسورة طالوت وسورة نمرود وما أشبه هذه من الأقاصيص وسورة الديك وسورة) الحجل وسورة الجراد وسورة الجمل وسورة الحنش؛ وكان يمشي على ثماني أرجل، وفيها سورة غرائب الدنيا، وهناك العلم العظيم عندهم. ذكر كلمات مترجمة من أول سورة أيّوب وهي استفتاح كتابهم باسم الله الذي أرسل الله به كتابه إلى الناس، هو الذي بيّن لهم به أخباره. قالوا: علم إبليس القضية، أباي الله ليس يطيق إبليس (أن يعلم) كما يعلم الله. سل أيّ شيء يغلب الألسن في الأقولة، ليس يغلب الألسن (في الأقولة إلا الله) بقضائه باللسان الذي أرسل الله بالحقّ إلى الناس استقام الحقّ. انظر محمّدا. وعبارة ذلك بلسانهم أيمنى مامت فمامت محمّد. كان حين عاش استقام الناس كلّهم الذين صحبوه حتّى مات، ففسد الناس. كذب من يقول إنّ الحقّ يستقيم وليس ثمّ رسول الله. وهي سورة طويلة. قال زمّور: إنّ بني صالح بن طريف يركبون وقت أخباره في ثلاثة آلاف ومائتي فارس وإنّ قبائل برغواطة الذين يدينون لهم وهم على ملّتهم جراوة وزواغة والبرانس (وبنو أبي ناصر ومنجصة وبنو أبي نوح وبنو واغمر ومطغرة وبنو بورغ) وبنو دمّر ومطماطة وبنو وزكسينت، وعددهم ينتهي أكثر من عشرة آلاف فارس. وممّن يدين لهم من المسلمين وينضاف إلى مملكتهم زناتة الجبل وبنو يليت ونمالتة وبنو واوسينت وبنو يفرن وبنو ناغيت وبنو النعمان وبنو أفلوسة وبنو كونة وبنو يسكر وأصادة وركانة وإيزمين ومنادة وماسينة وورصانة وترارته، ومبلغ عددهم نحو اثني عشر ألف فارس. قال زمّور: وليس في عسكرهم طبول ولا بنود. وعدّ زمّور من (أنهار بلادهم الجارية) أزيد من مائة نهر أعظمها نهر ماسنات، وهو يجري من القبلّة إلى الجوف، وبين عنصره وموقعه في البحر مسيرة سنّة أيّام، ونهر وانسيفن يقع في نهر شلة تحت الرباط في البحر المحيط.

جهة واحدة، يسلكه الراجل بعد الراجل، وهي خصبة رفة كثيرة اخير .
 ٣٤ - ومجيرة آزيغ مجيرة أصلها من البحر المحيط صنيعة تسمى فيها
 المراكب الاندلسية التي تحمل غلات الناحية، وفيها يركب أهل البصرة
 ويشحنون من نواحيهم وناحية بلد بيانه . ومنها عن مرحلة الى جهة
 الجنوب مصب وادي سببه وهو وادي فارس، ومن ورائه الى فاجيبة
 برغواطه على نحو بريد وادي سبته واليه ينتهي سكنى المسلمين .

٣٥ - وببله رباط يربط فيه المسلمون . وعليه المدينة الأزلية
 المعروفة بسله القديمة وقد تحربت . والناس يسكنون ويوايضون برباطات
 تحمها بها، وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان
 يزيدون في وقت وينقصون لوقت، وروباطهم على برغواطه من قبائل
 البربر على البحر المحيط متصلين بهذه الجهة التي سقت عمارة بلد الاسلام
 اليها يغزون ويسبون . وذلك أن رجلاً كان يعرف بصالح بن عبدالله
 دخل العراق ودرس شيئاً من النجوم وصلت منزلته في علمها، الى أن
 قوّم الكواكب وعمل التقويم والموايد واصاب في اكثر أحكامه . وكان
 له خطأ حسن وفهم باطراف من العلم وعاد فنزل بينهم، وكان بربري
 الأصل مغربي المولد مضطرباً بلغة البربر، يفهم غير إنسان من ألسنتهم
 فدعاهم الى الايمان به وذكر أنه نبي ورسول مبعوث اليهم بلغتهم واحتج
 بقول الله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه، وأن محمداً
 ﷺ نبي حق عربي اللسان مبعوث الى قومه والى العرب خاصة، وأنه
 صادق فيما اتى به من القرآن والاحكام، وإياه اراد الله عز وجل بقوله :
 « وصالح المؤمنين والمنكحة بعد ذلك ظهير، وروعدهم غير كسوف
 فوجدوه وأنذرهم غير شيء فادركوه واصابوه على حكايتهم، فافسد
 عقولهم وبدل معارفهم واخترض عليهم طاعته في سائر ابتداعها واحوال
 فرضها واختراعها، واوجب عليهم صوم شعبان وانظار شهر رمضان، وعمل
 لهم كلاماً وتلاه بلغتهم وشرع فيه محابته على نحلتهم فهم يتدارسونه ويعظمونه
 ويصلون به، وهالك فخالفه وصي كان له اقامه يكسني ابا العفير فزاد فيها
 وسهه أشياء ذكر أن له فيها الزيادة والنقصان والحل والعقد. فيما قدمه

صانع لهم من الاحوال ، فدعاهم الى التسكك وترك الدنيا والاشغال على الثقلان والزهد ، وتناهى هو وخاصته في ذلك الى ان حفيظاً عليه صمبوره عن الغذاء خشنياً عن الدهر وسبياً وتُسْعاً ، وهو في جميع ذلك يذكر أنه يوحى اليه وأن الملائكة تأتيه بما يأمرهم به وينهاهم عنه . وكان صالح يحسن لهم الطبيبات ويبببهم اللذات ويسوسهم في المخطورات ، وفيهم الآن من يقرأ القرآن بغاية الاحترام ويحفظ منه السور ويتأول آياته على موافقة لكتابهم وقراءتهم . وكان اهل البصرة ومدينة فاس يغزونهم في بعض الاوقات ويسامونهم ويتاجرونهم ، ويجلبون اليهم التجارات على ما يرونه ولائهم . وفي برغواطه امانة وبذل للطعام وتجنب الكسبائر من الحرام والمخطورات من الاثام ، وقد يصل اليهم اهل الآفحات والسوس ايضاً بالتجارة ، وكذلك قوم من اهل سجلماسة وبلدهم بلد مستقل بنفسه عن الحاجة اى ما في غيره وفيهم جمال يزرع وشدة وبأس وصبر على القلاء والمراس . وكنت أقيمت محمد بن الفتح المعروف بالشاكر لله بسجلماسة يدعو اى غزوه في سنة اربعين وثلاثمائة ، وأظنته هلك ولم يبلغ منهم بحربه لقلة إجابة من حكان بدعوه الى غزوه من البربر ، وتخوفهم من اطراد حيلة لمحمد بن الفتح الشاكر لله عليهم في ذلك .

٣٦ - وهذه جملة أحوال المدن المشهورة والمراسي والقري المعروفة على نحو بحر المغرب من حدت برقة الى البحر المحيط ، مما انتهت اليه وأدركته بالعيان او اخذته ممن نشأ فيه . وليس من حدت برقة وأصله الى نواحي افريقية فيما يواجه البحر المغربي من البر غير عشر مراحل فما فوقها بلد يذكر ولا يعرف إلا ما ذكرته ، والغالب على ما واجه هذا البحر من ارض مصر الى نواحي عمل افريقية البرادني والمقاوز التي بين بلاد السودان وأرض المغرب . وفي أطرافها سُكَّان من البربر وفي قلب البر أيضاً مياه عليها قوم منهم . وأما ما حاذى ارض افريقية الى آخر أعمال طنجة عن مرحلة الى عشر مراحل ، فزائد ونقص في بلاد مسكونة ومدن متصلة الرساتيق والمزارع والضياع والمياه ، والولاية والسلطين والمنوك والحكام والفقهاء ، وكل ذلك في جملة صاحب المغرب وحوزته وقبضته أو في يد

ديانة حاميم الغماري عن البكري

" ويجاور بلد نكور بلد غمارة فمنه مجكسة. وتتنبأ بذلك الصقع أبو محمد حاميم بن من الله بن حريز بن عمرو بن وجفوال (بن زروال) الملقب بالمفتري. وبيلد مجكسة جبل حاميم المنسوب إليه، وهو على مقربة من مدينة تيطاوان. وأجابه بشر كثير أقرّوا بنبوته، وجعل لهم الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس وعند غروبها يسجدون على بطون أكفهم، ووضع لهم قرآنا بلسانهم، فمما ترجم منه بعد تهليل يهّلونه: حلّني من الذنوب يا من يحلّ البصر ينظر في الدنيا، حلّني من الذنوب يا من أخرج موسى من البحر. ومنه: آمنت بحاميم وبأبي خلف- يريدون أبا حاميم وكذلك كان يكنى- وأمن رأسي وعقلي وما أكّنه صدري وما أحاط به دمي ولحمي، وآمنت بتانفيت، وهي عمة حاميم أخت أبي خلف (من الله) وكانت كاهنة ساحرة، (وكانت لحاميم أيضا أخت تسمى دجو وكانت ساحرة كاهنة) من أجمل الناس وكانوا يستغيثون إليها في كلّ حرب وضيق ويزعمون أنّهم يجدون نفعها. وفرض عليهم صوم (الخميس كلّه ويوم الأربعاء إلى الظهر، فمن أكل فيهما غرم خمسة أثوار لحاميم. ووضع لجميعهم صوم) سبعة وعشرين يوما من رمضان وأبقى فرض صوم ثلاثة أيام ويوم الفطر الرابع وجعل عيدهم في الثاني من الفطر. وفرض زكاتهم العشر من كلّ شيء وأسقط عنهم الحجّ والطهر والوضوء وأحلّ لهم أكل أنثى الخنازير وقال إنّما حرم ذكورها، وذلك في قرآن محمد - صلى الله عليه وسلم - . وحرّم عليهم الحوت حتّى يذكّى وحرّم عليهم البيض من جميع الطير."

وفي سنة ٣٢٥ ادعى رجل النبوة بجبال غمارة والديانة التي شرع لهم صلاتان بالنهار الواحدة عند طلوع الشمس والثانية عند غروبها ، ثلاث ركعات في كل صلاة ، ويسجدون ويطون أيديهم تحت وجوههم ، وصنع لهم قرآنا يقرؤونه بلسانهم بعد تهليل يهللون به وهو : «خلني (26) من الذنوب يا من خلا البصر ينظر في الدنيا أخرجني من الذنوب يا من أخرج موسى من البحر» ، ثم يقول في ركوعه : «أمنت بحميم وبأبي يخلف صاحبه وأمنت بتاليت عمه حم» ، ثم يسجد ، وكانت تاليت هذه كاهنة ، وفرض عليهم صوم يوم الاثنين ويوم الخميس الى الظهر وصوم يوم الجمعة وصوم عشرة أيام من شهر رمضان ويومين من شوال ومن أفطر في يوم الخميس عمدا فكفارته أن يتصدق بثلاثة عروض من البقر ومن أفطر في يوم الاثنين فكفارته ثوران ، وفرض عليهم الزكاة العشر من كل شيء وأسقط عنهم الوضوء والطهر من الجنابة وأسقط عنهم الحج وأحل لهم اكل أنثى الخنزير وقال : «أما حرم في قرآن محمد الذكر خاصة» ، وجعل الحوت لا يؤكل الا بذكاة وحرم عليهم اكل البيض واكل رؤوس جميع الحيوان ، فاتصل / (بالناصر) خبره وما أضل من الناس فبعث اليه جيشا (عظيما) فالتقوا معه بقصر مصمودة فهزم حميم وقتل وبعث برأسه الى قرطبة ورجع تبعه الى الاسلام .

مجهول، نكر بلاد الأندلس وفضلها، تحقيق لويس مولينا، مدريد، 1983، ص.167.

خطاطة ملوك برغواطة

